ويعطيني، ويحدب علي.. ويمنحني.. لأول مرة أحس كاهلي ينوء تحت وقر الخلق وبرودته ووحدته وقسوته!.. لأول مرة أرثي للآلهة الذين لا يعرفون ـ طول الأبد ـ غير المسح والعطاء، دون أن يتلقوا شيئاً عير دخان مس البخور وهباء من الثناء!..»[33].

ويتضرع «بجماليون» ـ تحت وطأة شعوره بالتعاسة والسأم ـ إلى الآلهة الأسطورية كي تبث الحياة في تمثاله الحامد فتأخذها الرأفة به، وتلبي رغبته فتحيي «جالاتيا» ويتزوج منها.

ولكن «بجماليون» لم يرض عن «جالاتيا» الحية التي تزوجها، وعقد موازنة بينها وبين «جالاتيا» كما كانت سابقاً حامدة، فانتهى من تلك الموازنة إلى نتيجة رهيبة، وهي أن «جالاتيا» الجامدة أفضل من «جالاتيا» الحية: إن تلك منزهة عن كل نقص وكل سهو وكل سخف، إنها الجمال مقطراً من خلال ألف مصفاة من الصبر الطويل، والعمل المضني، والتجربة المتصلة[34] أما هذه فتفسدها أحياناً حركة طائشة، وأعمال مبتذلة، وأحاديث سخيفة. ويصيق «بجماليون» بـ«جالاتيا» الحية السخيفة الغاية، فيرجو الآلهة أن تعيدها كما كانت تمثالاً بارداً، فتحقق الآلهة رجاءه، إلا أنه يعاني من جديد من حياه السأم وبرودة الوحدة، فيندم ندماً شديداً، ويطالب الآلهة مرة أخرى بأن تعيد إليه زوجته الحبة، فتتحير الآلهة في أمره وتفله، وتتشاور فيما بينها ثم تقرر أن تلبي طلبه، وتعود إليه «جالاتيا» زوجته الحية التي تفرح بعودتها كثيراً أول الأمر، ولكنه يراها من جديد أقل جمالاً وكمالاً من «جالاتيا» العاجية التي تتجلى فيها روعة الفن.

وهكذا يظل «بجماليون» متردداً بين الحياة والفن، ولم يبق له سوى باب واحد للخروج من متاهة هذا التردد الذي يصيبه، وهو الموت.

إنَّ الصراع بين الفن والحياة صراع يعاني منه الحكيم نفسه ـ كما وضحنا سابقاً ـ بحيث يمكننا أن نعد «بجماليون» هو الحكيم نفسه، أو أنه معادل موضوعي للحكيم بتعبير آخر.